اي منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام وانما وصف المكان بالصدق لان من عادة العرب
اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق
والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وقيل ارض
الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ورزقناهم من الطيبات اي
الحلالات المستلذات من الفواكه والحبوب والالباب والاعسال وغيرها واورث
تعالى بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من الناطق والصامت والحرث
والنسل كما قال تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها فما اختلفوا اي هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل
في امر دينهم حتى جاءهم العلم اي جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما
يجدونه مكتوبا عندهم وكانوا يخبرون بمبعثه وصفته ونعته ويفتخرون
بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن به بعضهم
كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة
وانهم ما اختلفوا في دينهم الا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها ان ربك
يا محمد يقضي بينهم يوم القيمة الذي هو اعظم الايام فيما كانوا اي باعمالهم
الجبلية فيه يختلفون اي فيميز الحق من الباطل والصديق من الزنديق
ويسكن كلا داره واختلف المفسرون فيمن المخاطب بقوله تعالى فان كنت في
شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب اي التوراة من قبلك
اي فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم في
الظاهر والمراد امته كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى لعيسى عليه
السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومن الامثلة
المشهورة اياك اعني واسمعي يا جارة والذي يدل على صحة ذلك وجوه الاول
قوله تعالى في اخر السورة يا ايها الناس فبين ان ذلك المذكور في اول الاية
على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الاية على سبيل التصريح الثاني انه
صلى الله عليه وسلم لو كان شاكا في نبوة نفسه لكان شك غيره في نبوته
نفسه اولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية الثالث اذا قدر انه
يكون شاكا في نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك باخبار اهل الكتاب
عن نبوته مع انهم في الاكثر كفار فثبت ان الخطاب وان كان في الظاهر معه
صلى الله عليه وسلم الا ان المراد هو الامة ومثل هذا معتاد فان السلطان
اذا كان له امير وتحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يامر الرعية
بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك
الامير الذي جعله اميرا عليهم ليكون ذلك تاثيرا في قلوبهم وقيل الخطاب

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته ولكن الله تعالى علم انه صلى الله عليه وسلم لم
يشك في ذلك الا ان المقصود انه متى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول
يا رب لا اشك ولا اطلب الحجة من قول اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلائل
الظاهرة وهكذا قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال احدا منهم
ونظير هذا قوله للملئكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود ان يصرحوا بالجواب
الحق ويقولوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وكما قال
لعيسى عليه السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله والمقصود
ان يصرح عيسى عليه السلام بالبراءة عن ذلك فكذلك هنا وقرا ابن كثير والكسائي
بنقل حركة الهمزة الى السين والباقون بالهمزة وسكون السين وقيل الخطاب
لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه
تنبيه على انه من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى
اهل العلم واظهر هذه الاقوال اولها وهذه الاقوال تجري في قوله تعالى لقد جاءك
الحق من ربك اي الايات القاطعة لا مدخل للمرية فيه فلا تكونن من الممترين
اي الشاكين فيه وفي قوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين اي
الذين خسروا انفسهم ان الذين حقت عليهم كلمة ربك اي ثبتت عليهم قول الله
تعالى الذي كتبه في اللوح المحفوظ واخبر به الملئكة انهم لا يؤمنون اي يموتون
كفارا فلا يكون غيره اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية
فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقودة فان الدليل
لا يهدي الا باعانة الله تعالى فاذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الاعانة
ضاعت تلك الدلائل حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان كما لم ينفع فرعون
وقرا نافع وابن عامر كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف على الافراد القصة
الثالثة قصة يونس عليه السلام المذكورة بقوله تعالى فلولا اي فهلا كانت
قرية واحدة من قرى الامم الماضية التي اهلكناها امنت اي امنت اهلها عند
اتيان الايات او عند رؤية اسباب العذاب فنفعها اي فتسبب من ايمانها ذلك
انه نفعها ايمانها بان تقبله الله تعالى منها وكشف العذاب عنها وقوله تعالى الا
قوم يونس استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا اي لما اخلصوا الايمان
اول ما راوا اية العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه كانه
قيل ما امن اهل قرية من القرى الهالكة فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ومتعناهم
الى حين الى انقضاء اجالهم روي عن ابن مسعود وغيره ان قوم يونس كانوا بارض
نينوى من ارض الموصل فارسل الله تعالى اليهم يونس يدعوهم الى الايمان
فدعاهم فابوا فقيل له ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا
لم نجرب عليك كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت

Copyright King Saud University